الفصل الرابع

الأصول العقائدية

الأصل الأول :

التوحيد

● **النص الأول** ـ قال أبو زكرياء يحيى ابن أبى الخير الجناوى (١) ما يلى : اعلم أن التوحيد لا ينتفع به الا المؤمن الموفى بدين الله تعالى ، ودين الله هو الاسلام ، والاسلام ينقسم قسمين : قول وعمل ، والقول ينقسم على ثلاثة أقسام : القسم الأول الاقرار بالله أنه لا اله الا هو ، القديم بلا بداية ، الدائم بلا نهاية ، الحى بلا تنفس ولا رطوبة ، العالم بلا تعلم ولا دراسة ، القدير بلا تكلف ولا مشقة ، المريد بلا شهوة ولا حاجة ، المتكلم بلا لسان ولا شفة ، السميع بلا اذن ولا أصمخة ، البصير بلا جفن ولا حدقة . القسم الثانى : الاقرار بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى بانه عبد الله ورسوله ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على

---

(١) توفى فى القرن الخامس الهجرى ، ر : (ف ـ أ)

obeikandl.com

الدين كله ولو كره المشركون . وختم به أنبياءه ، وفضله على جميع خلقه .

(نقلا عن كتابه : الوضع ، ص ١١ ـ ١٢) .

* * *

● **النص الثانى ـ** قال الامام أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالى (٢) فى معرفة التوحيد والشرك ما يلى :

أما التوحيد فمعناه افراد الرب سبحانه عن الخلق وجميع معانيهم ، فحقيقة المعرفة بـه سبحانه أن تعـلم أن الأشـياء لا تشبهه ولا يشبهها فى جميع الجهات : فى فعل ولا اسم ، ولا صفة ، ولا ذات ، لأنه لو أشبه شيئا من الأشياء ولو فى أقل القليل لدخل عليه العجز من تلك الصفة ، فلهذا وجب عـلى المكلف أن يعرف حقيقة الوحدانية لله تعالى ويصفه بمـا يليق به من الصفات ، وينفى عنه شبه الأشياء من جميع الجهات . وان اتفقت الأسماء فى اللفظ فليعلم أن تلك المعـانى مختلفة ونظير ذلك أن الله قديم لم يزل وعالم لا يجهل ويقال لبعض الخـلق قديم وعالـم ولا يقال لم يزل ولا لا يجهل ، فيتفق اللفظان ويختلف المعنى لأن تأويل قـول القائل : الله قديم أى من غـير بدء ولا أول لوجوده والانسـان قديم انما يعنى بعدد السنين والأوقات وقد كان له بدء وأول ، وكذلك قوله :

---

(٢) توفى سنة ٧٥٠ هـ ، ر : (ف ـ أ) .

فلان عالم انما أخبر عن علم استفاده بعد جهل وهو مع ذلك جاهل بأكثر الأشياء ، فالفصل بين معانى هذه الأسماء انك تقول : الله قديم لم يزل ولا يزال ولا يجوز ذلك فى غيره وتقول عالم لا يجهل وقدير لا يعجز ، وكذلك جميع الصفات على هذا الحال . لأن الله تعالى يقول : « **ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير** » (الشورى : ١١) .

وقال : « **ولم يكن له كفوا أحد** » (الاخلاص : ٤) .

فثبت بدليل الشرع وشاهد العقل أن الله لا يشبهه شىء من الأشياء فى اسم ولا صفة ، ولا ذات ولا فعل .

(نقلا عن كتابه : قواعد الاسلام ص ٣٣ ـ ٣٤) .

* * *

● **النص الثالث** ـ قال العلامة محمد بن يوسف أطفيش (٣) ما يلى : تجب معرفة التوحيد بانه افراد الله عن الخلق وأفعالهم وصفاتهم ، ولو تشابه معهم فى أقل قليل لدخل عليه العجز منه ولاحتاج الى ما احتاجوا . وتقول : هو عالم بمعنى أن ذاته كافية فى انكشاف المعلومات فعلمه قديم عام غير حال ، وزيد عالم بمعنى خلاف ذلك وهكذا . ومعرفة الشرك بانه المساواة والاشراك التسوية قلت : فمن أنكر الله كالدهرية (٤) الزاعمة أن الأشياء لا محدث لها فقد سواه بغيره فى العدم .

---

(٣) توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ر : (ف ـ أ) .

(٤) ر : (ف ـ ف) .

ومن نسب الخلق الى غيره بلا تأويل كالديصانية (٥) الزاعمين أن النور والظلمة خالقان للأشياء وكالمجوس (٦) الزاعمين أن القبيح مخلوق للشيطان . فقد سوى غيره به فى الخلق سواه بغيره فى عدم الخلق فافهم ، ومن وصفه بصفة مخلوق فقد سواه به كاليهود القائلين بأنه فرغ من خلق السموات وقد عيى فاستلقى ووضع رجلا على أخرى تعالى الله عن ذلك .

(نقلا من كتاب : الذهب الخالص ص ٢٣)

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الأول (التوحيد) :**

من خلال هذه النصوص يظهر لنا جليا أن التوحيد فى الاسلام يتمثل فى قسمين : قسم يتعلق بقلب الانسان ويسمى الايمان . والقسم الثانى يتمثل فى الاقرار برسالة الرسول وتطبيق أركانها . والايمان لا يكتمل الا عن طريق توحيد الله عز وجل ، وذلك أن لله تعالى الصفة العليا اللا نهائية فى الكمال . كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والرزق والاحياء والاماتة وأنه تعالى لا يماثله فيها ولا فى ذاته مقدار من المقادير الموجودة فى الدنيا ولا فى الآخرة . وبينت النصوص أن الله عز وجل واحد لا جنس له ولا نوع له ولا

---

(٥) ر : (ف ـ ف) .
(٦) ر : (ف ـ ف) .

فصل له ولا ند له ولا يشاركه فى الكمال المطلق اللا نهائى أى شىء والله تعالى يقول : « **ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير** » (الشورى : ١١) . والفكر الاباضى يرفض كل تيارات الالحاد والتشبيه سواء أكانت مادية أو دهرية أو يهودية أو مجوسية أو تجسيمية أو فيضية أو حلولية .

وأما الصفات المستحيلة عن الله عز وجل فهى الحدوث ، والعدم ، والفناء ، والموت ، والجهل ، والعجز ، والاكراه ، والصمم ، والعمى . والتسوية بينه وبين خلقه فى الذات أو الصفات .

والتوحيد هو الأساس الأصيل فى ترسيخ عقائد الاسلام ، فبدونه لا يمكن أن يتمتع المسلم بعقيدة صلبة فاذا استقرت هذه العقيدة فى حياة المسلم كانت الثمرة المرجوة فى القول والعمل باذن الله . وكل المدارس الكلامية أقرت على أن الله واحد ليس كمثله شىء ـ ما عدا المشبهة (٧) والقائلة ان الله له صفات مثل صفات الانسان تعالى الله عن ذلك .

* * *

● **الخلاصة العامة من النصوص :**

تؤكد أن الله واحد فى ذاته وصفاته ، وأن ذات

---

(٧) ر : (ف ـ ف) .

الله وصفاته شيء واحد . ولا يشاركه فيه شيء ما بأى حـــال من الأحوال ، وبأى وجه كان ، مع الاقرار والاعتقاد بأن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله أى : أن الله هو المالك الوحيد الخالق لهذا الكون ، والمدبر الوحيد الكامل لكل ما يقع فيه من أحداث . وأن محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والرسـل ورسالته حق على العالمين مع الالزام بتطبيقها واتباعها فى هذه الحياة .

* * *

obeikandl.com

الأصـــل الثـــانى :

الصـــفات الالهيـــة

● **النص الأول ـ** لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (١) .
القول فى صفات الله سبحانه وتعالى : فمن سألنا عن الله جل جلاله فقال : هل تصفون ربكم أم لا تصفونه بصفة ؟ قلنـــا : نعم ، انا نصف الله جل جلاله بصفاته الحسنى التى لا تليق الا به ، وننفى عنه صفات المحدثين وذلك انا نصفه بالقدم ، اذ لابد لوجوده تعالى ، وننفى عنه الحدوث لما ثبت من حاجة المحدث الى محدث يحدثه ، وقد بينا فساد تسلسل ذلك الى ما لا نهاية له من الفساد فى كتابنا (٢) فوجب بذلك أنه قديـم لا أول لوجوده ، ونصفه بأنه باق لا يفنى ، لاستحالة الفناء على ما يستحيل عليه الحدوث لأنه لمـــا كان سبحانه وتعالى موجودا لا بعد عدم ، بطل عنه أن يكون معدوما بعد وجـــود ونصفه بأنه حـــى عليم حكيم قدير مريد ، ســـميع بصـــير ، لاستحالة وجود الأفعال من الأموات ، وبطلان وقوعهـــا من الجاهلين العاجزين ، يتعالى ربنا عن صفات النقص علوا كبيرا فان قال : أخبرونى عن هذه الأشياء التى وصفتموه بها من الحياة والعلم والحكمة والقدرة ، والارادة ، والعزة ، والسمع

---

(١) توفى سنة ٥٧٠ هـ : ر (ف ـ أ) .
(٢) ر : (ف ـ م) .

والبصر ، أهو شيء لم يزل به أم هو شيء استحدثه لنفسه ؟ أم كيف القصة فى ذلك ؟ قلنا : ان الله تعالى لم يزل موصوفا بما ذكرناه من الحيـــاة والعلم والحكمة والقـــدرة والارادة والعزة ، والسمع والبصر ، فى سائر تلك الصفات ولا يزال موصوفا بها من قبل أنه لا تعدو تلك الصفات اذا كانت حادثة اليه وجوها ثلاثة اما أن تكون حدثت اليـــه من غـير محدث أحدثها ، أو حدثت بمحدث أحدثها له ، وهـــو غيره ، أو أن يكون استحدثها لنفسه ، وبطل أن تكون تحدث من غير محدث لما بينا من فساد القول بأن شيئا يحدث بلا محدث فى غير موضـع من كلامنا وفسد أن يكون غيره أحدثهـا له ، اذ كان الغير يجب فيه من القـول مثل ما يجب فى هـذا الموصوف ، ولا ينفك مما لا ينفك منه هـذا الموصوف ، فيتسلسل ذلك الى ما لا نهاية له ، وفسد أن يكون هو الذى أحدثها لنفســـه ، لأنه لـــو كان الأمر كذلك ، لوجب أن يكون من قبـــل أن يستحدثها لنفســـه ، ليس بحـــى ولا عـــالم ولا حكيم ، ولا قادر ، ولا سميع ، ولا بصير ، فمن كان بهذه الهيئة ، لم يقدر على أن يحدث علما ، ولا قدرة ، ولا شيئا من الأشياء ، فلما بطلت هذه الوجوه الثلاثة ، واضمحل القول بها ، لـــم يبق الا القول بانه لم يزل ربنا جل وعلا حيا ، عالما ، قديرا سميعا ، بصيرا فى سائر صفاته ولا يزال كذلك .

(نقلا عن كتابه : الموجز ، الجزء الأول ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠) .

* * *

● **النص الثانى** ـ لأبى محمد عبد الله بن حميد بن سئوم السالمى (٣) ٠

كتب فى الصفات الالهية ما يلى :

صفاته لـــذاته هى ذاتـــه لا غيرها دلت بـــذا آياته

ان صفاته تعالى الذاتية عين ذاته أى مدلول صفاته الذاتية هى ذاته العلية ليس غيره عز وجل لأنها لو كانت غيره للزم اما أن تكون موجودة قبله وهو باطل لاستلزامه أن يكون الله حادثا تعالى عن ذلك ٠ واما أن تكون موجودة بعده وهو باطل أيضا لاستلزامه أن تكون الذات تعـالى ، قبـل وجود تـلك الصفات غير متصفة بالكمالات فيلزم اتصافها بالنقص ، وامـــا أن تكون مقارنة له فى الوجود وهو باطل أيضا ، لاستلزامه تعدد القدماء ، والقول بتعدد القدماء وبه كفرت انصـارى ٠

فعلى تسليم أن تكون صفاته الذاتية غير ذاته يلـزم ان يكون الرب تعالى محتاجا الى ذلك الغير ناقصا بدونه تعالى الله عن ذلك ٠ وما قررناه هنا هـو مذهبنا ـ أى الاباضية ـ ومذهب المعتزلة (٤) والشيعة (٥) وذهبت الأشعرية (٦) الى أن صفات الله تعالى هى معان حقيقية قائمة بذاته زائـــدة عليها فهو عندهم عالم بعلم وقادر بقدرة ومريد بارادة ٠

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ، ص ١٧٥) ٠

---

(٣) توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ر : (ف ـ أ) ٠

(٤) (٥) (٦) ر : (ف ـ ف) ٠

● **عرض وتحليل الأصل الثانى (الصفات الالهية) :**

ان النصوص التى عالجت أصل الصفات الالهية هنا قد أكدت صفات الكمال لله عز وجل . بأنها جوهره أى ذاته (٧) .

ولكن المذاهب الكلامية الأخرى ، قد اختلفت فى ماهية الصفات الالهية فهل صفات الله هى عين ذاته ؟

فالأشعرية ترى أن صفات الله غيره ، وهى قديمة بقدمه تعالى معنى هذا . فالعلم صفة ثابتة قديمة من صفاته تعالى ، ولكنها ليست جوهره أى ذاته . فلا يقال : ان الله مريد بارادة وارادته ذاته . أما الاباضية فتقول : ان صفات الله هى عين ذاته . والله قادر بذاته ـ أى أن ذاته كافية فى التأثير فى جميع المقدورات فصفات الله عز وجل هى عين ذاته . لأن الله قديم ، وصفة القديم مثله فى القدم . فاذا كانت شيئا غيره كان هناك قديمان أو أكثر ، وهو تصور يتنافى مع أصل التوحيد ، ولا يجوز اعتبار الصفات مستقلة محدثة . اذ يصبح الله تعالى محتاجا الى أعراض ، وأجزاء ، ويغدو مركبا ، وهذا يتنافى ووحدانية الله . فهكذا قد أكد أبو عمار والشيخ السالم أن صفات الله أزلية قديمة وغير محدثة والا وقعنا فى الدور ، وهو توقف كلّ واحد من الشيئين على الآخر .

---

(٧) ر : (ف ـ م) و (ف ـ ف) .

ويتعدد القدماء ، فهذا يتنافى مع أصـــل التوحيد الذى عالجناه من قبـــل وأن هـذا الأصل الثانى يتطابق مع رأى المعتزلة والشيعة ويخالف رأى الأشعرية التى ترى أن صـفات الله حقيقة أزلية ولكنها ليست عين ذاته .

* * *

obeikandl.com

الأصـــل الثـالث :

الايمـــان

● **النص الأول** ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (١) المتوفى سنة ٥٧٥ هـ . قال : اختلفت النـاس فى الايمـان وفى تثبيته على أصل قولين : قالت المرجئة (٢) : ان الايمان هو ما تعبد الله به عباده ، ودعاهم اليه من توحيده بصفاته . ونفى الأشباه والأنداد عنه ، فى جميع ما لا يليق به من صفات خلقه ، فكل من وحد الله بصفته ونفى عنه صفة خلقـه سمى مؤمنا مستكمل الايمان وما عدا ذلك من جميع ما أمـر الله به عباده ، وتعبدهم به ، من فعل جميع ما افترض عليهم من فرائض ، وتـرك جميع ما نهاهم عنـــه من المعـاصى فليس بايمان ولا هو لله بدين ، ولا اسلام . ثم افترقوا فيما بينهـم على طوائف ثلاث : فقالت طائفة منهم : ان الايمان من ذلك هو المعرفة لله بالقلب والاعتقاد بالضمير ، دون الاقرار بذلك باللسان . وقالت الثانية : بـــل الايمان هو الاقرار بتوحيد الله ، ونفى الأشباه عنه باللسان دون المعرفة بالقلب والضمير فى النفس .

وقالت الطائفة الثالثة : بـــل لا يكون كـــل واحد منهما

---

(١) ر : (ف ـ أ) .
(٢) ر : (ف ـ ف) .

يمانا دون الآخر ، فمتى اجتمع من ذلك اقـرار باللسان ، وضمير بالقلب ، سمى جميعه ايمانا ، وسمى فاعله مؤمنا ، واذا كان أحدهما دون الآخر بطلت التسمية لـه بأن يكـون ايمانا وبطل أن يسمى فاعل بعض ذلك دون بعض مؤمنـا وشبهوا ذلك فيما زعموا بالأبلق الذى لا يسمى بأحـد اللونين أبلق ، واذا اجتمع عليه كلا اللونين سمى أبلق (٣) .

وقال جميع الفرق ، من الأزارقة ، والاباضية ، والزيـدية والمعتزلة ، والحشوية (٤) : ان الايمان هو جميع ما أمر الله به عباده ، وتعبدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض ، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصى فكل ذلك ايمان لله ، ودين له ، واسلام وكله ايمان ، وبعضه ايمان ، ما كان من ذلك توحيدا لله ، وما كان منه غير توحيد ، فمن استكمل ذلك سمى مؤمنا ، ومن لـم يستكمل ذلك واقتصر على فعل التوحيد دون فعل الفرائض ، وترك المعاصى ، بطل أن يسمى مؤمنا .

(نقلا عن كتابه : الموجز ـ الجزء الثانى ، ص ٩١ ـ ٩٢) .

* * *

---

(٣) أى المزج بين اللون الأبيض والأسود .
(٤) ر : (ف ـ ف) .

● **النص الثانى** ـ لأبى زكريـــاء يحيى بن أبى الخير الجناوى (٥) ٠

قال : اختلف الناس فى الايمان على قولين ، **فقالت المرجئة** الايمان هو ما أمر الله به من توحيده ونفى الأشباه عنـــه ، ومن الأمثال وما لا يليق به من صـفات خلقه فقط ، ومـــا استوى ذلك من أوامر الطاعة ونواهى المعصية ، فليس عندهم بايمان ولا بدين ، ولا اسلام ٠

وقالت الأشعرية : من أتى بالقول وضيع العمل ، فهـو مؤمن مسلم عاص مذنب ليس بمشرك ولا كافـــر ولا ضـــال ولا فاســـق ، ان شاء الله عذبه وان شـاء رحمـــه ٠ وقالت المرجئة : من أتى بالقول وضيع العمل فهو مؤمن مسلم ليس بمشرك ولا كافر ولا ضال ولا فاســـق ٠ وقالـــت الابـــاضية والزيدية والشيعة (٦) : من أتى بالقول وضيع العمـل فهـــو كافر منافق ضال فاسق عاص ليس بمؤمن ولا بمســـــلم ولا بمشرك ٠ وأحكامه أحكام الملـة الاسـلامية والملة كل شريعـة وطريقة شرعهـا قـــوم لأنفسهم واتخذوهـــا دينـــا ٠ والدين والايمان والاسلام : أسماء مختلفة لشىء واحد وهـو طاعة الله تعالى ، يقال : كل ايمان دين وكل اسلام دين ، ولا يقال :

---

(٥) توفى فى النصف الأول للقـرن الخـامس الهجرى ر : (ف ـ أ) ٠

(٦) ر : (ف ـ ف) ٠

كل دين اسلام ، ولا كل دين ايمان ، لأن الدين فى لغة العرب ينصرف على وجوه يكون الدين بمعنى الطاعة .

(نقلا عن كتابه : الوضع ، ص ١٤ – ١٦) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الثالث (الايمان) :**

ان النصين قد عالجا ، أصلا من أصول الاسلام وهو الايمان . فهل مدلول الايمان واحد عند جميع المذاهب الاسلامية ؟ لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال الا اذا حللنا مدلول الايمان عند الفرق الاسلامية فالاباضية يرون أن الدين والايمان والاسلام أسماء لشىء واحد وهو طاعة الله تعالى وتطبيق قواعد الاسلام تطبيقا عمليا على حسب النصين لذا قيل فى مقدمة التوحيد عند الاباضية ان قيل لك : ما قواعد الاسلام ؟ فقل أربعة : العلم ، والعمل ، والنية ، والورع (٧) .

فالاسلام لا يصح الا بهذه الأركان الأربعة ولا يجوز الفصل بين القول والعمل . القول هو الاقرار : بالله أنه لا اله الا هو وبمحمد بن عبد الله بن عبد المصلب الهاشمى القرشى بأنه عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وختم به أنبياءه وفضله على جميع خلقه . واتيان بجميع أركان الاسلام ،

---

(٧) مقدمة التوحيد ، لأبى حفص عمر بن جميع ، ص ٥٠

واجتناب جميع المحرمات والوقوف عند الشبهات ، فهذه الأصول تناقض رأى المرجئة التى ترى أن الأعمال شيء وأن الايمان شيء آخر .

فالايمان فى زعمها هو التصديق بالقلب فقط ، فان النصوص قد شرحت وفصلت بين رأى المرجئة والاباضية . فالاباضيون يؤكدون أن الايمان بدون تطبيق فرائض الاسلام لا معنى له . والا أصبح فكرة جوفاء . فهكذا نجد أبا عمار فى نصه ينتقد ويفند آراء المرجئة حين حصرت الايمان فى توحيد الله والخضوع له دون الاتيان بالفرائض وقد دعم رأيه بالأدلة العقلية والنقلية . ونحن نلاحظ أن البيئة السياسية الأموية قد ساعدت هذا التيار الارجائى الجديد لتبرير سلطتهم الحاكمة حتى يستقر لها زمام الرئاسة والحكم .

وأما الأشعرية (٨) فترى أن الايمان من أتى بالقول ، وضيع العمل وهذا الانسان تراه مسلما عاصيا ، مذنبا فليس بمشرك . أما الاباضية فتراه فاسقا عاصيا موحدا (٩) ولا يخرج عن ملة الاسلام وتجرى عليه أحكام المسلمين وقد اعتنقت المعتزلة والشيعة والزيدية رأى الاباضية فى هذا الأصل .

* * *

(٨) ر : (ف ـ ف) .
(٩) ر : (ف ـ م) .

الأصـــل الرابـــع :

نفى رؤيـة الله عـز وجـل

● **النص الأول** ـ جاء فى كتاب الجامع الصحيح (١) الجزء الثالث ، (ص ٢٦ ، ٢٩) ما يلى : 'لنظر فى اللغة قال الربيع (٢) : ان النظر هو الانتظار لقول الله عز وجل : « **ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهـــم يخصمون** » (يس : ٤٩) يعنى ما ينظرون وليس معنى ـ النظر بالأبصار ٠

وقال الله عز وجل : « **وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق** » (سورة ص : ١٥) ٠

وقال : « **هل ينظرون الا أن تاتيهم الملائكة** » (الأنعام : ١٥٨) ٠ ونحوه من القرآن ومصداق ذلك فى اللغة قـــول القائل : انما أنظر الى الله ، ثم اليك ، يعنى ينتظر ما يأتيه من قبله ٠

---

(١) ان الجامع الصحيح أصح كتب الحديث رواية وسندا فالاباضيون يعتمدون عليه بعد القرآن الكريم ٠ أما روايتـــه واسنـــاده فجـــاءت عن طريق الربيـــع بن حبيب الأزدى البصرى الذى يعـــد من أقطاب الطبقة الرابعة التى تمتـــد ما بين سنة ١٥٠ ـ ٢٠٠ هـ وقد توفى رحمه الله سنة ١٧٠ هـ انظر أجوبة ابن خلفون ، ص ١٠٧ ٠

(٢) انظر الدرجينى : الجزء الثانى ص ٢٧٣ ٠

والرؤية قد تكون بغير البصر قال الله عز وجل : « **الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا** » (الفرقان : ٤٥) ، وقوله : « **أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة** » (يس : ٧٧) . وانما يعنى بهذا كله وأشباهه العلم واليقين ولا يريد رؤية الأبصار .

قال : حدثنا أفلح بن محمد عن أبى معمر السعدى عن على ابن أبى طالب فى قوله : « **وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة** » (القيامة ٢٢ ، ٢٣) ، قال **تنضر وجوههم وهو** الاشراق « **الى ربها ناظرة** » ، قال تنتظر متى يأذن لهم ربهم فى دخول الجنة ولا يعنى الرؤية بالأبصار لأن الأبصار لا تدركه كما قال : « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** » (الأنعام : ١٠٣) .

* * *

● **النص الثانى** ـ لأبى محمد عبد الله بن حميد السالمى (٣) قال : اعلم أن للرؤية تسع شرائط : الأول سلامة الحاسة ، والثانى كون الشىء جائز الرؤية مع حضوره للحاسة ، والثالث مقابلته للباصرة فى جهة من الجهات ، أو كونه فى حكم المقابلة كما فى المرئى بالمرآة ، والرابع عدم غاية الصغر فان الصغير جدا لا يدركه البصر قطعا ، والخامس

---

(٣) ر : (ف ـ أ) .

عدم غاية اللطافة بأن يكون كثيفا ، أى ذا لون فى الجملة وان كان ضعيفا ، والسادس عدم غاية البعد وهو مختلف بحسب قوة الباصرة وضعفها ، والسابع عدم غاية القرب فان المبصر اذا التصق بسطح البصر بطل ادراكه بالكلية ، والثامن عدم الحجاب الحائل وهو الجسم الملون المتوسط بينهما ، التاسع أن يكون مضيئا بذاته ، أو بغيره .

واذا عرفت هذه الشرائط ظهر لك والحمد لله استحالتها على الله تعالى لأنها لا تعقل الا فى جسم ، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض قالوا : هذه الشرائط ، انما فى رؤية الشاهد ، ولا تحمل عليها رؤية الغائب .

قلنا لم تعقل العرب من الرؤية الا ما ذكرنا ، ولم يخاطبهم الله الا بما يعقلون . وأيضا فقد قستم الغائب على الشاهد فى الصفات الذاتية ، حيث قلتم : انه تعالى عالم وقادر بقدرة الى آخرها ، فما بالكم تركتم أصلكم ههنا . فان قيل دعوى استحالتها عقلا لا تتم لاختلاف كثير من العقلاء فى وقوعها . وما اختلف فى وقوعه العقلاء دل على جواز وقوعه قلنا : لا نسلم ذلك فان العرب الجاهلية أهل عقول ، وقد ادعوا تعدد الآلهة أيكون ادعاؤهم ذلك دليلا على جواز تعددها .

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ، ص ١٩٨) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الرابع (نفى رؤية الله عز وجل) :**

عندما نقوم بتحليل فقرات هذه النصوص يتأكد لنا سمو وعلو المستوى العقلى الذى يتمتع به الفكر الاباضى ، فى فهم وادراك المجازات اللغوية ، والابتعاد عن الاتجاه التجسمى الذى لا يؤمن الا بما هو متصور ومجسم ومحسوس وله نظير وشبيه فى الواقع المادى .

وهكذا نرى الاباضية يفتحون باب الاجتهاد والتأويل معتمدين فى ذلك على الأدلة العقلية والنقلية لتدعيم النص القرآنى المتشابه بالدليل اللغوى ـ المتمثل فى لغة العرب الجاهلية .

ويرون فى كتاب الله عز وجل ظاهرا وباطنا . فقول الله عز وجل : « **وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة** » . فهذه الآية من المتشابهات يجب تأويلها لغويا وعقليا فى آن واحد لأن اللغة هى الفكر فهى تحمل المعانى الفكرية .

ويفهم منها الرجاء وانتظار رحمة الله للدخول فى الجنة بعد الفراغ من الحساب ولا يعنى الرؤية بالأبصار . ثم ان هذه الآية تدعمها وتوافقها هذه الآية الكريمة المحكمة الواضحة « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** » وهذا الاستدلال العقلى والاجتهاد النظرى يعد وسيلة لاثبات وتوكيد توحيد الله وتنزيهه من كل شىء .

أما الأدلة العقلية فتمثلت فى ما يلى : لو أمكنت رؤية الله لكان جسما ومتحيزا وموجودا فى مكان أمام حواسنا أو كونه فى حكم المقابلة كما فى المرئى بالمرآة ، وكذلك عـــدم غايـة القرب فان المبصر اذا التصق بسطح البصر بطل ادراكه بالكلية .

فبعد هذه الأدلة ، فان الاباضية تجزم بامتناع رؤية الله فى الدنيا والآخرة . فهذا الأصل قد اعتنقته المعتزلة والشيعة (٤) ويخالف رأى الأشعرية (٥) التى ترى أن الله يرى بالأبصار ، ولكن فى غير حلول .

* * *

---

(٤) و (٥) ر : (ف ـ ف) .

obeikandl.com

الأصـــل الخامـــس :

القـــدر (١)

● **النص الأول** ـ قال الربيع (٢) : بلغنى عن عبادة ابن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « انك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الايمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله » قالت : قلت يا رسول الله ، كيف لى أن أعلم خير القدر وشره ؟ قال « تعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك فان مت على غير ذلك دخلت النار » . (نقلا عن الجامـــع الصحيح (٣) الجزء الأول ، ص ١٩ ـ ٢٠) .

* * *

● **النص الثانى** ـ رأى أبى عبيدة (٤) فى القدر ومجادلته مع واصل بن عطاء (٥) :

وحكى بعض أصحابنا أن واصل بن عطاء المعتزلى صاحب عمرو بن عبيد كان يتمنى لقاء أبى عبيدة ، ويقول : لـــو قطعته قطعت الاباضية ، قال : فبينما هو فى المسجد الحرام

---

(١) ر : (ف ـ م) .
(٢) ر : (ف ـ أ) .
(٣) راجع التعليق السابق فى موضوع الرؤية .
(٤) و (٥) ر : (ف ـ أ) .

ومعه أصحابه ، اذ أقبل أبو عبيدة ومعه أصحابه ، فقيل لواصل : هذا أبو عبيدة فى الطواف ، قال : فقام اليه واصل فلقيه ، وقال : أنت أبو عبيدة ؟ ، قال : نعم ، قال : أنت الذى بلغنى أنك تقول : ان الله يعذب على القدر ، فقال أبو عبيدة ما هكذا قلت ، لكن قلت ان الله يعذب على المقدور ، فقال أبو عبيدة : وأنت واصل بن عطاء ؟ قال : نعم ، قال : أنت الذى بلغنى عنك أنك تقول ان الله يعصى بالاستكراه ؟ قال : فنكس واصل رأسه فلم يجب بشىء . ومضى أبو عبيدة وأقبل أصحاب واصل على واصل يلومونه يقولون كنت تتمنى لقاء أبى عبيدة ، فسألته فخرج وسألك فلم تجب ! فقال واصل : ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنة فهدمه وأنا قائم ، فلم أقعد ولم أبرح مكانى .

(نقلا عن كتاب : طبقات المشائخ للدرجينى ، الجزء الثانى ص ٢٤٦) .

* * *

● **النص الثالث** ـ قال الامام أبو طاهر اسماعيل ابن موسى الجيطالى (٦) : اعلم أن القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان (٧) ، وذلك أن تعلم أن ما قضى

---

(٦) توفى سنة ٧٥٠ هـ ، ر : (ف ـ أ) .

(٧) ر : (ف ـ م) .

الله تعالى فهو كائن لا محالة ، كما ما علم الله أن يكون فهو كائن لا محالة ، ومن خالفنا فى القضاء والقدر وافقنا فى العلم . فرب أمر قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل اليك الا بالطلب . والطلب أيضا من القدر ولا فرق بين الأمر المطلوب وبين الطلب فانهما مقدوران فمن هنا ثبت أنهما لا يتنافيان ، وكذلك التوكل مع الكسب لأن التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان فى محلين ، فبهذا يتحقق العبد أن التقدير من الله ، فان تعذر شىء فبتقديره ، وان اتفق فبتيسيره ، وفى الحديث : جاء رجل الى النبى عليه السلام على ناقة له فقال : يا رسول الله : ، أدعها وأتوكل ؟ فقال : « اعقلها وتوكل » . فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما يحكم به ، فمن رام أمرا من الأمور فليس الطريق فى تحصيله أن يغلق بابه عليه ، ويفوض أمره الى ربه وينظر ذلك الوجه الذى أراده ، وقد روى أن النبى عليه السلام ظاهر بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويتحرس من العدو وأقام الرماة يوم أحد يحتفظ بهم من الكفار ، ويلبس لامة الحرب ، واسترقى واكتوى وتداوى وأمر بالمداواة وقال : « ان الذى أنزل الداء هو الذى أنزل الدواء » وأمر الله تعالى الايمان بقضائه وقال لنبيه : « **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا.**» (التوبة : ٥١) .

وأمر عباده أن يأخذوا بالحذر وقال : « **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** » (النساء : ٧١) .

وقد قال الله تعالى لمريم عليها السلام : « **وهزى اليك بجذع النخلة** » (مريم : ٢٥) ٠

وقال : « **فـاذا قضيت الصـلاة فانتشروا فى الأرض** » (الجمعة : ١٠) ٠ ولم يأمر بالقعود ، وقد قيل عن بعضهم : من لزم المسجد وقبل كل ما يأتيه فقد سأل النـاس الحـافا ، أى التأكد والطلب والالحاح على الصدقة ٠

(نقلا عن كتابه : قواعد الاسلام ـ الجزء الاول ، ص : ٣١ ، ٣٢) ٠

* * *

● **النص الرابع** ـ قال الشيخ محمد بن يوسف أطفيش (٨):

يجب الايمـان بالقـدر وهـو ايجـاد الله الأجسـام والأعراض (٩) ، وبالقضاء وهو الحكم بها فى الأزل (١٠) ، فهو صفة ذات ، أو اثباتها فى اللوح فهو صفة فعل ، وزعمت المعتزلة (١١) ، أن الفاعل باختيار خـالق لفعله وأن فعـل الاضطرار مخلوق له سبحانه ٠ أو للطبيعة ، أو لا فاعل له على أقوال عندهم ، قلت : ولا حجة عليهم فى اقرارهم بأن الله عالم

---

(٨) توفى سنة ١٣٣٢ هـ ، ر : (ف ـ أ) ٠
(٩) و (١٠) ر : (ف ـ م) ٠
(١١) ر : (ف ـ ف) ٠

بما سيفعلونه كما توهم بعضهم فانه بمنزلة قولهم انه عـــالم بما سنخلق بل الحجة فى قوله تعـالى : « **وخلق كـل شىء** » (الفرقان : ٢) وقوله جل وعلا : « **هلْ من خالق غير الله** » (فاطر : ٣) ، وفى أن الانسان مثلا لو كان خالقا لفعله لكان فاعلا لكل ما أراد وفى أنه لو كان خالقا له لكان عالما بكيفيته وكميته وتفصيله قبل أن يخلقه ، ولا يدخل الله فى شىء من قوله : « **وخلق كل شىء** » لأن دخولـه يسـتلزم الحـدوث ، والمعدوم لا فعل له ونافقوا بذلك ولولا تأويلهم لأشركوا ومن قال بذلك لقصور عقله لا بقطع عذر مخالفة مثل من يرى أن ريح المروحة خلق له لم يكفر نفاقا ولا شركا ودخل اعتقاده فى الخطأ المرفوع عما قاله بعض محققى أصحابنا ـ أى الاباضية ـ والطلب من نفس المقدور فلا ينافى القدر .

(نقلا عن كتابه : الذهب الخالص ص ٢٢) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الخامس (القدر) :**

من خلال هذه النصوص ، يظهر لنا جليا ، أن مشـــكلة القدر ارتبطت دوما بمصير الانسان عامة والمسلم خاصـــة . وهذه المشكلة الفلسفية الميتافزيقية (١٢) لا تزال مطروحة فى المذاهب الفكرية المعاصرة الى حد الساعة .

---

(١٢) ر : (ف ـ م) .

أما بالنسبة للمسلمين الأوائل فقد اعتبروا الدين هو الايمان والايمان هو الدين واعتقدوا بالقدر خيره وشره دون الخوض فى الآيات القرآنية المتشابهة التى تتناول حرية الانسان ، هل الانسان حر من قضاء الله وقدره ؟ أم مقيد به ؟

أما فى العصر الأموى والعباسى فما بعدهما ، فقد ظهر اتجاهان متعارضان لهذه المشكلة هما :

١ ـ ان الانسان مسير لا مخير ازاء قدرة الله المطلقة الخالقة لكل شىء وتزعم هذه الفكرة جهم بن صفوان المتوفى ١٢٨ هـ ، ودعم رأيه بالأدلة النقلية كقول الله عز وجل : « **والله خلقكم وما تعملون** » (الصافات : ٩٦) ، « **قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار** » (الرعد : ١٦) .

٢ ـ الاتجاه القدرى الذى تزعمه معبد الجهنى المتوفى سنة ٨٠ هـ ، ومدرسة الاعتزال التى تزعمها واصل بن عطاء . ان هذا المذهب اعتمد على العقل حين أكد أن الانسان هو الخالق لأفعاله ، بدليل اذا أراد الحركة تحرك واذا أراد السكون سكن ، ومن أنكر ذلك جحد الضرورة (١٣) ثم دعم رأيه بالأدلة النقلية كقول الله عز وجل : « **كل نفس بما كسبت رهينة** » (المدثر : ٣٨) . وقال الله عز وجل فى آية أخرى :

---

(١٣) ر : (ف ـ م) .

« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »
(الكهف : ٢٩) .

أما النصوص التى بسطت هنا وتعارض المذهب القدرى الذى يدعى أن الانسان هو الخالق لأفعاله . ومعنى هذا أن الله ظالم لعباده ـ تعالى الله عن ذلك ـ وتعارض كذلك رأى الجبرية حين تنفى من الانسان كل مسئولية وأعطت مفهوما أصيلا يتمثل فى القدرة المرتبطة بالمقدور بمعنى الكسب (١٤) أى أن للانسان قدرة على الفعل والله عز وجل هو الذى خلق فينا القدرة ولا يحاسبنا على هذه القدرة . بل ان الحساب ينصب على الأعمال التى اكتسبها الانسان اكتسابا عن طريق جوارحه وارادته الحرة فالكسب اذن عند الاباضية يقوم مقام الخلق عند القدرية ومدرسة الاعتزال . كالمسلم الذى صام رمضان ـ فأكل يوما متعمدا فان ظاهرة الجوع والعطش أمر جبرى من عند الله عز وجل لأننا لا يمكن أن نزيل دوافعنا الفطرية ، أما التعمد فى الأكل وعدم ضبط الدوافع بارادة قوية فأمر مكتسب من الانسان ذاته . اذن ليس هناك تعارض بين ارادة الله عز وجل وعمله الأزلى القديم مسبقا وبين كسب الانسان . لقد صدق أبو عبيدة حين قال : ان الله يعذب على المقدور لا على القدر ـ فرأى الاباضية يعارض صراحة الاتجاه القدرى .

---

(١٤) ر : (ف ـ م) .

أما بالنسبة الى الأشعرية وابن رشد (١٥) فقد سلكوا نفس المسلك الذى سلكته الاباضية .

والخلاصة العامة : أننا نلاحظ أن النصوص من ناحية المضمون أى الجوهر تسعى أن تبين أن المؤمن الصالح عليه أن يعتقد بالقدر خيره وشره أنه من الله ولن يبلغ حقيقة الايمان حتى يؤمن بذلك . مع العمل الدائم وعدم التوكل اعتمادا على سيرة الرسول وأقواله حين قال أعرابى للرسول صلى الله عليه وسلم : أرسل ناقتى وأتوكل على الله ؟ فقال : « بل اعقلها وتوكل » .

* * *

---

(١٥) ابن رشد : هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد ولد بقرطبة ٥٢٠ هـ ، وتوفى ٥٩٥ هـ ، أهم كتبه : تهافت التهافت ـ فصل المقال .

الأصـــل الســـادس :

العدل والوعد والوعيد (١)

● **النص الأول** ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (٢) :
قال : اختلف الناس فى اثبات وعـــد الله ووعيـــده عـــلى اختلافهم فى التسمية بالايمان ، فقالت المرجئة والحشوية (٣) كل من سميناه بأنه مؤمن للذى أتى بـــه من توحيـــد الله عز وجل مع تضييعه ما أمر الله به من الفرائض التى هى دون التوحيد ، ومع ركـــوبه الذى نهى الله عنه من المعـــاصى التى هى دون الشرك ، فواجب له وعد الله عز وجـــل بثوابه فى الميعاد على كل حال ، وتوقفوا فى انجاز وعيد الله لمـــن كـــان بهذه الصفة التى ذكرناها ، واضطربت فيه كلمتهم ، وتشـــتت أمرهم فمن قائل يقول : بأن أمة محمد لا تعرض على النـــار ، ومن قائل يقول بأنه يعذب المذنبين منهم على قدر ذنوبهـــم ، ثم يخرجون فينجز لهم بعد ذلك ما وعد لهم من الثواب ، ومن قائل بالتوقف عن ذلك والشك فيه ولذلك سموا مرجئة لأنهـــم أرجوا أهل الكبائر (٤) أى أخروهم ، وتركوا القول فيهم ،

---

(١) الوعد : الثواب بالجنة ، والوعيد : العقاب بالنار .
(٢) توفى سنة ٥٧٥ هـ ، ر : (ف ـ أ) .
(٣) ر : (ف ـ ف) .
(٤) ر : (ف ـ م) .

ولم يقطعوا عليهم عذرا وقيل سموا مرجئة لأنهم أرجوا العمل ، ولم يجعلوه ايمانا مع القول ، وفى مثل هذا من القول ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم « لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا » قيل : وما المرجئة يا رسول الله ؟ قال « الذين يقولون الايمان قول بلا عمل » واتفق جمهور من ذكرنا فى صدر المقالة من الأمة ، على أن الله منجز وعده ووعيده وصدقهما بتمام ذلك وامضائه فى جميع من وعده وتوعيده لا تبديل لكلمات الله ولا تحويل لأمره ، قال عز وجل : « **لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد • ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد** » (سورة ق : ٢٨ ، ٢٩) •

وقال : « **ان الله لا يخلف الميعاد** » (الرعد : ٣١) •

وقال : « **جزيناهم ببغيهم ، وانا لصادقون** » (الأنعام : ١٤٦) •

وذلك أن الله عز وجل وعد قوما وتوعد آخرين ، فجعل وعده الجنة لأوليائه المؤمنين ، وجعل وعيده النار لأعدائه الكافرين ولن يجوز أن يكون وعده أو وعيده مبدلا ولا محولا ، ولا مستثنى فيه ولا مرجوعا عنه اذ لا يجوز أن تكون أخباره جل جلاله متكاذبة ولا متناقضة ، فلو كان وعده أو وعيده مبدلا أو محولا ، أو مستثنى فيه لكانت جميع أخباره جل جلاله ذات تكاذب وتناقض ، وهل الوعد والوعيد الا اخبار منه

عز وجل بأنه أعد للفريقين ما وعدهم به ، وتوعدهم وقال : « **واتقوا النار التى أعدت للكافرين** » (آل عمران : ١٣١) .

وكيف يخبر بأنه أوعد ما لم يوعد أو وعد ما لم يعد أو يكون يعد ويوعد ثم لا يفى بما وعد ، ولا بما أوعـــد ؟ ولا يوجد شىء من ذلك على ما أخبر به ، وهذا غاية الوصف لله جل جلاله بالكذب ـ تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا ـ وقال الله عز وجل فى ابليس : « **يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا** » (النساء : ١٢٠) فحاشـا لله أن تكـون مواعيده كمواعيد الشيطان .

(نقلا عن كتابه : الموجز ، الجزء الثانى من ١٠٤ ـ ١٠٦)

* * *

● **النص الثانى ـ** لأبى حفص عمر بن جميع (٥) مـع شرح لأبى سليمان التلاتى .

قال : الوعد هو الاخبار بالخير كما فى قوله تعالى : « **ان الابرار لفى نعيم** » (الانفطار : ١٣) . والوعيد هو الاخبـــار بالشر كمـــا فى قولـه تعالى : « **وان الفجـار لفى جحيم** » (الانفطار : ١٤) . والمراد بهما هنا عقائدهما المبينة بقول المصنف رحمه الله ـ ندين ـ أى نتقرب نحن أهل الحق الى ربنا باعترافنا وجزمنا ـ بأن الله ـ أى واجب الوجود لذاتـه ـ

---

(٥) توفى عمـر بن جميع فى القـرن الثـامن الهجرى، أما أبو سليمان التلاتى توفى سنة ٩٦٧ هـ ، ر : (ف ـ أ) .

صادق ـ أى مطـابق للواقع حكم خبره الوارد ـ فى وعده ـ أى اخباره بالخير كما فى قوله تعـالى : « **ان الذين آمنـوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** » (الكهف : ١٠٧) ٠ ـ وفى وعيده ـ أى اخباره بالشر كمـا فى قولـه تعالى : « **ان الذين كفروا من أهـل الكتـاب والمشركين فى نار جهنم** » (البينة : ٦) وندين بأن الله تعالى لا يخلف وعده ولا وعيده كما فى قوله تعالى : « **ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد** » (سورة ق : ٢٩) ٠

فمن وعده بالجنة لابد له منها ومن الخلود فيها كما أشار المصنف اليه بقوله : ـ وندين أيضا أى نتقرب نحن أهل الحق الى الله تعالى لجزمنا ـ بتخليد ـ أى دوام ـ أهـل ـ أى أصحاب الجنة أى دار الثواب ـ فى الجنة أى دار الثواب والنعيم المقيم ـ و ـ بتخليد ـ أهل ـ أى أصحاب ـ النار ـ أى دار العقاب فى النار أى دار العقاب الأليم والنكال العظيم ـ و ـ بقوله : ـ ندين أيضا أى نعبد الله تعالى نحن أهل الحق ونتقرب اليـه بجزمنـا واقـرارنا بألسنتنـا ـ بأن الجنة ـ أى دار الثـواب ـ و ـ بـأن النار أى دار العقـاب ـ دائمتـان أى باقيتان ومستمرتان ـ لا يفنيان أى لا يذهبان ولا يزولان ـ أبدا ـ أى فى جميع الأزمنة ٠

(نقلا عن التوحيد وشرحها ، ص ٧٤ ـ ٧٥) ٠

* * *

● **النص الثالث ـ للشيخ السالمى (٦) . قالَ :**

ومن عصى ولـــم يتـــب يخلـــد
فى النـــار دائمـــا بهـــذا نشـهد

هذان بيان مذهب أهـــل الاستقامة (٧) أى من عصى بكبيرة ولم يتب منها حتى مات فهو مخلد فى النار دائما . نشهد بذلك لاخبار الله ايانا به كما فى قوله تعالى : « **ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا** » (الجن : ٢٣) واعترض بأن المراد من عصى الله ورسوله فى التوحيد وأجيب بأن اللفظ عام ، ولا مخصص وقوله تعالى : « **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون** » (البقرة : ٨١) .

واعترض بأننا لا نسلم أن صاحب الكبيرة أحاطت بـــه خطيئته من كل جانب لأن له حسنات لا يظلم اياها . ويجـاب بانه أحبط حسناته باصراره على الكبيرة ، فلم يظلم شـــيئا لأنه قد أخبر انما يتقبل الله من المتقين ، ولا شك أن صاحب الكبيرة ليس بمتق ، فلم يتقبل الله شيئا من حسناته مـــع اصراره على الكبيرة ولا قبله اذا مات عليه . وقوله تعالى : « **ومن يقتل مؤمنـا متعمدا فجـزاؤه جهنـم خالدا فيهـا** » (النساء : ٩٣) .

---

(٦) ر : (ف ـ أ) .
(٧) أى الاباضية .

واعترض بأن المراد من قتل مؤمنا على ايمانه ولا يقتل مؤمنا على ايمانه الا مشرك (ويجاب) أن سياق هذه الآية ينفى هذا التعليل ، لأنه ذكر أولا : حكم قاتل المؤمن خطأ ، ثم ذكر حكم قاتله عمدا والمحكوم عليه فى كلا الموضوعين واحد وقوله تعالى : « **ان الأبرار لفى نعيم • وان الفجار لفى جحيم • يصلونها يوم الدين • وما هم عنها بغائبين** » (الانفطار : ١٣ ـ ١٦) ، فلو كانوا يخرجون منها لزم أن يغيبوا عنها والفجور شامل للشرك وغيره •

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦) •

* * *

● **عرض وتحليل الأصل السادس (العدل والوعد والوعيد) :**

ان قضية الوعد والوعيد ـ أى الثواب والعقاب ـ تعد أصلا من أصول العقائد الاباضية ، فهى مرتبطة بالعدل الالهى الذى يعطى لكل ذى حق حقه ، ولا ينسب اليه الجور والظلم تعالى الله عن ذلك •

فلا يحكم على أحد بما ليس أهلا له ، ولا لأحد بما ليس أهلا له ، ولا يفعل بأحد ما لم يكن أهلا له ، فحكمه على القاتل بالعقل عدل ، وقطع يد السارق عدل ، ورجم الزانى والزانية عدل ، ووعد الطائع بالجنة عدل ، وتوعد العاصى

بالنار عدل . وهو القائل : « **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم** » (الأنعام : ١١٥) .

ان النصوص المبسطة هنا ، قد أكدت وبينت رأى الاباضية فى ثواب المؤمن ، وعقاب العاصى ان مات بدون توبة .

وهذان الأصلان أوجبهما الله على نفسه ، والا أصبحت أوامر الله تعالى كاذبة ومتناقضة مع النصوص القرآنية وعدالته المطلقة ـ فالله عادل ولا يظلم أحدا وهو القائل : « **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** » (آل عمران : ١٨٢) ، والله عز وجل سينفذ وعيده الخالد الأبدى فى حق الكافرين والعصاة وهو القائل عز وجل : « **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم** » (التوبة : ٦٨) ، وكذلك سينفذ وعده الخالد الأبدى فى حق المؤمنين الصادقين وهو القائل عز وجل : « **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم** » (النساء : ١٣) ، ان النصوص قد دحضت بكل قوة رأى المرجئة والحشوية (٨) بالدليل العقلى والنقلى حين زعمت أن الله سيخلف وعيده لأهل الكبائر والعصاة من المسلمين ولا يخلف وعده ، وعللوا ذلك بقول الله عز وجل : « **قل ياعبادى**

---

(٨) ر : (ف ـ ف) .

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » (الزمر : ٥٣) .

ولكنهم أجيبوا بالدليل النقلى فى قوله تعالى : « **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** » (النساء : ١٤) وفى آية كريمة أخرى يقول الله عز وجل : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » (النساء : ٩٣) ، ان هذه الآية قد نزلت فى حق عصاة المسلمين وقد وعد الله هؤلاء بالخلود الأبدى فى جهنم والا فى حق من أنزلت هذه الآية ؟

وخلاصة القول : ان الاباضية يرون أن أهل الكبائر من المسلمين بدون توبة كانوا عصاة أو فاسقين أو منافقين فهم مخلدون فى النار دائما أبدا . وأما المؤمنون فهم مخلدون فى الجنة الخالدة دائما أبدا . وهذه العقيدة قد اعتنقها المعتزلة والشيعة بعد .

أما الأشعرية فيرون أن الخلود الدائم للكافرين فقط. وأما مرتكب الكبائر ما عدا أهل الشرك فأمره الى الله ان شاء عذبه أو عفى عنه . وأما المرجئة فترى أن الخلود الدائم فى النار خاص بالكافرين - أما المسلم العاصى فقد يعفو الله عنه ، وقد يعاقبه ولكن مصيره النهائى الجنة .

* * *

الأصـــل الســـابع :

الشـــفاعة

● **النص الأول ـ ذكر حديث الشـفاعة فى الجامـــع الصحيح ٠**

(١٠٠١) عن جابر بن زيد عن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد يدخل الجنة الا بعمل صالح وبرحمة الله وشفاعتى » ٠

(١٠٠٤) عن جابر بن زيـد عن النبى ﷺ قال « ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتى » ٠

(١٠٠٥) عن جابر بن زيد قال : لما نزلت هذه الآيـــة « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » (الشعراء : ٢١٤) ٠ جعل رسول الله ﷺ يتفخذ أفخـاذ قريش فخذا فخـذا حتى أتى الى بنى عبد المطلب فقال : « يا بنى عبد المطلب ان الله أمرنى أن أنذركم فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا ألا ان أوليائى منكم المتقـــون ألا لأعرفن ما جاء الناس غدا بالدين فجئتم بالدنيا تحملونهـا على رقابكم يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشتريا أنفسكم من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيئا » ٠

(نقلا عن الجامـع الصحيح ، الجـزء الرابـع ، ص : ٢٢ ـ ٢٤) ٠

* * *

● **النص الثانى ـ للشيخ عبد العزيز الثمينى (١) ٠**

قال : فمن زعم أن الشفاعة تكون لأهل الكبائر ، لزمه القول بأنهم يدخلون الجنة ، وأن الأمة كلها فى الجنة وذلك خلاف ما فى الكتاب والسنة ، من أن من الأمة مخلدين فى النار ، وهم أهل الكبائر الميتون عليها غير التائبين منها ، ولأنها لو كانت لهم ، لم يجز سؤال الكون من أهلها لاستلزامه سؤال الكون من أهل النار الغير الجائز ٠ وما يقال من أن المؤمنين التائبين لا حاجة لهم بالشفاعة لأنهم من أهل الجنة بلا شك مردود بأنهم محتاجون لها فى زيادة تشريفهم ورفع درجاتهم وتكثير ثوابهم وفى تقصيرهم فى حق لجار وذى القربى والأرحام والزوجة والأولاد ونحوها ويدل على احتياجهم لها قوله تعالى حكاية عنهم : « **ربنا اتمم لنا نورنا واغفرلنا** » (التحريم : ٨) حيث أخبر بأنهم يطلبون به اتمامه لهم نورهم وغفرانه لهم ذنوبهم وهم سائرون على قناطر جهنم قبل دخولهم الجنة وقوله ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة إلا بعمل صالح وبرحمة من الله وشفاعتى » ٠ ومما يدل على أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر قوله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب ، ان الله أمرنى أن أنذركم ـ أى بقوله « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » ـ ألا انى لا أغنى من الله شيئا » ٠

---

(١) ر : (ف ـ أ) ٠

(نقلا عن كتاب ـ شرح قصيدة النونية ـ ص ٣٠٢ ، للشيخ أبى نصر فتح بن نوح) .

* * *

● **النص الثالث ـ لأبى محمد عبد الله بن حميد السالمى (٢).**

قال : الشفاعة لغة الوسيلة والطلب ، وعرفا سؤال الخير من الغير للغير ، وشرعا طلب تعجيل دخول الجنة ، أو زيادة درجة فيها من الرب عز وجل لعباده المؤمنين فتكون للأنبياء وغيرهم . ويختص نبينا عليه السلام منها بخصلة هى تقدمه اليها قبل كل شافع فلا يفتح بابها الا له ثم من بعده يشفع من شاء الله أن يشفع .

قيل وهو المقام المحمود الذى فى قوله تعالى : « **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** » (الاسراء : ٧٩) ، أى يحمدك فيه الأولون والآخرون حيث لم يجدوا قبلك شافعا .

ان شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقى من المكلفين والتقى هو من جانب المحرمات وأدى الواجبات ، فلا شفاعه لغيره من الأشقياء لقوله تعالى : « **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** » (الأنبياء : ٢٨) وقوله تعالى : « **واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة** » (البقرة : ٤٨) .

---

(٢) ر : (ف ـ أ) .

وقولـه تعالى : « **ما للظـالمين من حميم ولا شـفيع يطـاع** » (غافر : ١٨) ، وهذه الآيات عامة كما رأيت ففى الأولى تصريح بأن الشفاعة مقصورة على من ارتضـــاه الله ، وفى الثالثة دليل على نفيها عن الظالم ، وهــو اسم لكل من ظلم نفسه ، أو ظلم غيره ، فلا تخص المشركين كما زعموا ، فانها و ن كان سبب نزولها فيهم ، فلا عبرة بخصوص السبب مـع عموم اللفظ ، ويعضد هذه الآيات ما سياتى من الأدلة القاطعة فى تخليد أهل الكبائر ، فانهم مع ما ثبت من تخليدهم فى النار بالقطعيات الآتية ، انتفت عنهم الشفاعة فى الموقف ضرورة .

فان من ثبتت له الشفاعة فى دخول الجنة لا يدخل النار فضلا عن أن يخلد فيها . وخالفت الأشاعرة (٣) فيها فأثبتوها لأهل الكبائر تعويلا على حديث رووه « شفاعتى لأهــل الكبائر من أمتى » ويجاب بوجوه ـ أحدها : أنه خبر واحد لا يعارض القطعى ـ وثانيها : أنه لو لم يعارض قطعيا لما أوجب العـــلم ـ وثالثها : أنه عارضته رواية : مثلهـا ونصـها « لا تنـــال شفاعتى اهل الكبائر من أمتى » فهذه بتلك على أن هذه قـد عضدها الكتاب وتلك قد خالفته فوجب اما القول بوضع تلك الرواية كما ذهب اليه المحقق الخليلى رحمه الله قائلا : انه لو كانت الشفاعة لأهل الكبائر لتقرب اليه المتقربون اليه بالكبائر .

(نقلا عن كتابه : مشارق أنوار العقول ـ ص : ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

---

(٣) ر : (ف ـ ف) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل السابع (الشفاعة) :**

لقد ترتب على موقف الاباضية حول العدل والوعد والوعيد موقف ثان ، نفوا فيه حدوث الشفاعة من الرسول ﷺ وحصروا حدوث هذه الشفاعة فى المؤمنين فقط دون العصاة والفسقة ومرتكبى الكبائر .

ان شفاعة النبى ﷺ لن تكون لمن مات وهو مصر على الكباتر . وانما تكون للمؤمنين كافة للتخفيف عليهم يوم الحشر ، والتعجيل بهم للدخول فى الجنة أو زيادة درجة لبعض المؤمنين الذين ماتوا على الوفاء والتوبة النصوح .

أما الأدلة القطعية التى استشهدوا بها فهى كالتالى : قال الله عز وجل : « **واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة** » (البقرة : ٤٨) ، ثم ان الرسول ﷺ قد أكد ووضح هذه الآية الكريمة حين قال : « يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة محمد ، اشتريا أنفسكما من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيئا » .

وهذه العقيدة لها صلة بأصل العدل والوعد والوعيد ، لأن الله عز وجل عادل ولا يخلف وعده ووعيده .

فهذه العقيدة تتطابق مع رأى المعتزلة التى تنفى الشفاعة عن أهل الكبائر . أما الأشعرية فقد أثبتوها لأهل الكبائر

اعتمادا على حديث الرسول : « شفاعتى لأهـــل الكبائر من أمتى » ، غير أن هناك رواية أخرى تفند هذا الحديث « لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » ، فهذه بتلك كما قال الشيخ السالمى رحمه الله . ثم ان الآيات الكريمة قد أيدت الحديث الأخير وخالفت الحديث الأول .

ولو أن الشفاعة تكون لأهل الكبائر ـ أصحاب المعاصى ـ لتقرب اليه المسلمون بالكبائر ـ أى الى الله ـ ليضمنوا لأنفسهم الجنة الخالدة ، فهذا يتنافى مع عقائد الاسلام والمنطق السليم ، والرسول قد ربط بين الشرك والكبائر ولم يفرق بينهما . حين قال : « اجتنبوا الكبائر السبع الموبقات تنجوا : الشرك بالله ، والقتل ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل أموال الناس ظلما ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين » .

* * *

الأصـــل الثـــامن :

خلق القرآن الكريم

● **النص الأول ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (١) النقض لمن زعم أن القرآن غير مخلوق) .**

يقال لمن زعـم أن القرآن غير مخلوق : أخبرونـا عن القرآن وجميع الكتب المنزلة من الله الى خلقه على السـنة رسله ، أهى أشياء أم ليست بأشياء ؟ فان قالوا : بانها غير أشياء أبطلوها ، وجعلوها فى حـد العدم والتلاشى فيقـال لهم : فما الذى زعمتم انه ليس بمخلوق ؟ اذ ليس ثم شىء يكون غير مخلوق ، أو خلقا ، وبطل على هذا المعنى أن تكون رسل الله جاءت من عند الله بشىء ، وأن الله أنزل على أنبيائه شيئا وقد قال عز وجل : « **ومـا قـدروا الله حـق قـدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء** » (الأنعام : ٩١) ، فقال ردا عليهم : « **قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى** » (الأنعام : ٩١) ، فلما تبين أن كتاب الله شىء من الأشياء قلنا : لا يخلو هذا الشىء من وجهين لا ثالث لهما : اما أن يكون محدثـــا أو غير محدث ، فان قالوا : غير محدث أبطلوا وردوا على الله حيث قال : « **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا**

---

(١) ر : (ف ـ أ) .

عنه معرضين » (الشعراء : ٥) فان قالوا : محدث ، قيل من أحدثه ؟ فان أضافوا حدوثه الى غير الله أبطلوا ، وان قالوا ان الله أحدثه أقروا بخلقه ، ويقال هل كان القرآن دالا على الله فى ربوبيته شاهدا عليه فى وحدانيته ؟ فان قالوا لا أبطلوا وان قالوا بل هو دال على الله ، وشاهد عليه كما كان سائر الأشياء من الخلق دالا على الله ، قلنا من جعله دالا على الله ؟ ولا يجدون الا أن يقولوا الله جعله دلالة على ربوبيته ، وشهادة على وحدانيته ، كما جعل سائر الخلق كذلك ، فاذا قالوا ذلك أقروا بخلقه ، ويقال لهم : أخبرونا عن القرآن اليس هو محدثا كائنا بعد أن لم يكن ؟ فان قالوا لا أبطلوا ، وجعلوه قديما مع الله ، وصاروا الى مذهب الاثنين ممن أنبانا عن باطلهم فيما مضى ، فان قالوا محدث كائن بعد اذ لم يكن أقروا بخلقه ، والحدوث هو الخلق ، كما أن الخلق هو الحدوث .

وانما شنعوا عبارة الخلق لغباوتهم ، وجهلهم ، وهم قد أتوا بجميع معانى الخلق ولن يجوز أن يكون محدثا غير مخلوق كما لا يجوز أن يكون مخلوقا غير محدث ولن يجوز أن يكون محدث غير مخلوق ، كما لا يجوز أن يكون قديم غير خالق .

ومع هذا كله انا وجدنا الله عز وجل وصف القرآن بما

وصف به غيره من سائر الخلق ، فقال عز وجل : « **انا جعلناه قرآنا عربيا** » (الزخرف : ٣) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين** » (الاسراء : ١٢) .

وقال : « **وجعلنا السماء سقفا محفوظا** » (الأنبياء : ٣٢) .

وقال فى القرآن : « **انا أنزلناه فى ليلة القدر** » القدر : ١) .

وقال : « **انا نحن نزلنا الذكر** » (الحجر : ٩) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد** » (الحديد : ٢٥) .

وقال : « **وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** » (الزمر : ٦) .

وقال فى القرآن : « **وانا له لحافظون** » (الحجر : ٩)

وقال فى القرآن : « **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون** » (الأنبياء : ٢).

وقال : « **أو يحدث لهم ذكرا** » (طه : ١١٣) .

وقول فى القرآن : « **كتاب فصلت آياته** » (فصلت : ٣) .

وقال : « **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** » الأعراف : ٥٢) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وكل شىء فصلنا تفصيلا** » (الاسراء : ١٢) .

(نقلا عن كتابه : الموجز ـ الجزء الثانى ، ص ١٣٢ ـ ١٣٥) .

* * *

● **النص الثانى ـ** لأبى حفص عمر بن جميع مع شر لأبى سليمان التلاتى .

قال ـ وندين ـ ايضا نحن اهل التوفيق الى الله تعـالـ بجزمنا واقرارنا ـ بأن الله ـ أى واجب الوجـود لذاتـ ـ خالق ـ أى موجـد ـ كلامه ـ أى قرآنه ـ الذى هـو اللف المنزل على محمد للاعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوتـ وغيره من الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل التى هى الألفا الخاصة الدالة على المعانى الخاصة وغيره من كل ما أوحى ب الى الأنبياء والرسل من الكتب والأحاديث القدسية ونحوهـ ـ ووصية ـ أى كلامه الذى هـو القرآن ـ ومحدثـه ـ أ موجوده بعد أن كان معدوما ـ وجاعله أى صانعه ـ ومنزله أى مهبطه على النبى عليه الصلاة والسلام وكيفية انـزا القرآن الى نبينا ﷺ أنه تعالى أمر الملائكة بنسخه من اللـو المحفوظ فنسخته منه فى أوراق وأعطتها لجبريل ونزل بها ال السماء الدنيا ووضعها فى بيت العزة منها ثم نزل به بعد ذل

على محمد مفرقا بحسب الوقائع والأحوال التى تعتريه فى عشرين سنة وأنزل عليه اللفظ والمعنى معا .

(نقلا عن كتاب : عقيدة التوحيد وشرحها ـ ص : ٧٦)

* * *

● **عرض وتحليل الأصل الثامن (خلق القرآن الكريم) :**

اذا درسنا الموضوعات التى بحثتها الفلسفة الاسلامية لابد أن نتذكر مشكلة خلق القرآن الكريم التى تركت مميزات خاصة لكل فرقة سيما المعتزلة والأشاعرة والاباضية وأهل لسلف (٢) ـ فالاباضيون من خلال هذين النصين تظهر لنا حججهم وأدلتهم على القول بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى وعلى أنه مخلوق له تعالى ، لفظه وكلماته ، وسوره ومعناه ، لا ما قام الدليل على قدم معناه فقط ، كلفظ الجلالة والرحمن الرحيم لوصفه تعالى له بكونه منزلا من عنده ، وهذه الفكرة مرتبطة بالتصور النقى الخالص لفكرة التنزيه للذات الالهية عن كل مماثلة لما يحتمل تصور وجوده من المحدثات الحسية الواقعية .

لقد دعم أبو عمار عبد الكافى الاباضى نظريته بالأدلة العقلية والنقلية من القرآن الكريم ورد على كل من زعم أن القرآن غير مخلوق أى ـ أن القرآن قديم مع قدم الله عز

---

(٢) ر : (ف ـ ف) .

وجل فى الأزل . ولقد أظهر براعة وأصالة فى الاستدلال القائم على الاستقراء والقياس فى آن واحد وربط بينهما بالعلاقة الاستنتاجية والاستلزامية بين نتيجة الاستقراء التى هى مقدمة للقياس وقال : ان القرآن الكريم شىء من الأشيا الموجودة فهو يكون اما محدثا أى مخلوقا ، أو غير محدث = والله الخالق لكل شىء فربط علة خلق القرآن بعلة الأشيا الأخرى المخلوقة لأن علة خلق القرآن الكريم مستغرقة فى الحد العام (٣) وهو الخلق واستشهد بالدليل النقلى فى قوله تعالى « **انا جعلناه قرآنا عربيا** » (الزخرف : ٣) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين** » (الاسراء : ١٢) .

ثم ان الله عز وجل بين أن القرآن الكريم محدث فقال : « **ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون** » (الأنبياء : ٢) .

وقال : « **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم** » (الأعراف : ٥٢) .

وقال فى غير القرآن من الخلق : « **وكل شىء فصلناه تفصيلا** » (الاسراء : ١٢) .

ويمكن أن نضيف عنصرا آخر ، وذلك أن القرآن العزيز

---

(٣) ر : (ف ـ م) .

محصور بسوره وآياته وفيه النسخ ـ أى رفـــع حكم شرعى سابق بنص لاحق ـ فلا يجوز أن يقع النسخ فى القديم وهـذا دليل الحدوث ـ اذن ان القرآن الكريم محدث فهذا الأصـــل قد اعتنقته المعتزلة حين رأت أن القرآن الكريم كلام الله وهو حادث ـ أما الأشعرية فهى تعتقد أن القرآن كلام الله قديم ، أما الحروف والحبر والورق حادثة ، أما أهل النص فيرون أن القرآن العزيز قديم بمعناه وحروفه ولفظه وحبره وورقه .

والخلاصة : أن الاباضـية تقـر أن القرآن الكريم مخلوق كالأشياء .

* * *

الأصـــل التاســـع :

لا منزلة بين المنزلتين (١)

● النص الأول ـ لأبى عمار عبد الكافى الاباضى (٢) ٠

قال : اختلف من أثبت الوعيد لأهل الكبائر وأسمائهم ، وفى كبائرهم ما هى ؟

بعد اجماعهم على ثبوت الوعيد لهم ، ونفى التسمية عنهم بالايمان فقالت الصفرية : ان كبائرهم كفر شرك ، وأسماءهم كفار مشركون ، محاربون كأهل حرب النبى ﷺ تسفك دماؤهم ، وتسبى ذراريهم ، وتغنم أموالهم ، وهم مع ذلك قد تورث أموالهم ، وتنكح نساؤهم وتؤكل ذبائحهم ويحج معهم ، ويصلى معهم ، فقسمت الأزارقة واختارت ، فاخذوا ما أحبوا ، وتركوا ما كرهوا ٠

وقالت المعتزلة : كبائرهم فسق وضلال ، ليست بكفر ، وأسماؤهم فاسقون ضالون ، ليسوا بكافرين ، ولا مؤمنين فاثبت هؤلاء منزلة ثالثة ليست بايمان ولا كفر ، وادعوا اسما ثالثا ، لا مؤمنا ولا كافرا ٠

وقال الاباضية والزيدية : كبائرهم كفر نفاق ، لا كفر

---

(١) أى لا منزلة بين الايمان والكفر ٠
(٢) ر : (ف ـ أ) ٠

شرك ، وأسماؤهم كافرون منافقون ، ليسوا بمشركين ، ولا مؤمنين « **مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** » (النساء : ١٤٣) .

لا الى المشركين فى الحكم والسيرة ولا الى المؤمنين فى الاسم والثواب كما قل عز وجل : « **ما هم منكم ولا منهم** » (المجادلة : ١٤) ، نفاهم من المشركين أن يكونوا معهم فى التسمية بالشرك وأحكام المشركين .

(نقلا عن كتابه : الموجز ، الجزء الثانى ص : ١١٦ - ١١٧) .

* * *

● **النص الثانى ـ للعلامة محمد بن يوسف أطفيش (٣) .**

قال : يجب الفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق ، وأشرك من لم يفرز ، ومن شك فى شركه لا من شك فى الشاك الا أن قامت عليه الحجة ، وهو أن يعلم أن تكذيب الله اشراك والكذب عليه نفاق ، ودخل فى التكذيب القول بخلاف ما قال مواجهة بلا تأويل والقول بخلافه مع الجهل بنزوله . أو أن يعلم أن الكبائر قسمان شرك ونفاق قلت : هو الصحيح نمتاز به عن الأزارقة والنجدية والصفرية (٤) . أو أن يعلم أن

---

(٣) ر : (ف ـ أ) .
(٤) ر : (ف ـ ف) .

الشرك مساواة ودخل فيها الجحود كما مر وأما غيرها من الكبائر فنفاق على أقوال ثلاثة لأصحابنا محررة . وفى وجوب معرفة أن النفاق خلف قولان ، ولا يشرك من لم يفرز ان كان متأولا كالأزارقة الزاعمين أن المعاصى كلها شرك ، ولزمهم تشريك آدم حاشاه حيث وصف بالمعصية ، والنجدية منهم القائلين ان الكبائر كلها شرك وما دونها فسق وذلك الحكم عند الفريق متعد الى غيرهم ، وأما فيما بينهم فمن اعتقد اعتقادهم لم يحكموا عليه بالشرك لمعصية أو كبيرة بل يقولون بفسقه . وقيل عن الصفرية انهم يحكمون بالشرك لذلك ولو على أنفسهم فيجتهدون فى التقوى حتى تصفر وجوههم لئلا يقعوا فى الشرك ، وكالمعتزلة القائلين فى كبائر النفاق انها فسق وضلال لا نفاق ولا شرك .

(نقلا عن كتابه : الذهب الخالص ـ ص : ٢٥ ـ ٢٦) .

* * *

● **النص الثالث ـ لعلى يحيى معمر (٥) .**

قال : يحسب كثير ممن لا علم له أن الاباضية يتفقون مع الخوارج فى تكفير العصاة كفر شرك ، ولا يعرفون أن الاباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحدين الذين ينتهكون حرمات الله ، ويقصدون بذلك كفر نعمة . أخذا من

---

(٥) ر : (ف ـ أ) .

الآيات الكريمة ، التى أطلقتها فى أمثال هـــذه المواضيع ، واستنادا الى أحاديث الرســـول ﷺ والله يقول : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فـان الله غنى عن العالمين** » (آل عمـران : ٩٧) ، « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** » (المائدة : ٤٤) .

والرسول ﷺ يقول : « من ترك الصلاة كفر » ، « ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة » . واعتقد أن ما تقـــدم يكفى لايضاح المقصود من اطلاق كلمة الكفر على العصـــاة ويقصد بذلك كفر النعمة ، والسبب الذى دعا الاباضية الى اطلاقهم هذه الكلمة على العصاة بـدلا من كلمة النفـــاق أو الفسوق أمران : أولهما : أنها الكلمة التى أطلقها الكتـــاب الكريم والسنة القويمة عليهم فى كثير من المواضيع والمناسبات .

وثانيهما : أن لكلمة النفاق أثرا خاصا فى تاريخ الاسلام ، فقد اشتهر بها عدد من الناس فى زمن رســـول الله ﷺ ، آمنوا ظاهرا ولكن قلوبهم لم تطمئن بالايمان ، فكان القران الكريم ينزل بتقريعهـم ويفضح بعضـهم ويتوعدهـم بالعذاب الأليم ، فى الدنيا والآخرة .

« **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون** » (التوبة : ٦٧) .

وخلاصة البحث أن الاباضية عندما يطلقون كلمةالكفر على أحد من أهـــل التوحيد فهم يقصـــدون كفر النعمة ، ويطلق عليه المعتزلة الفسوق ويطلق عليـه غيرهـم النفاق أو العصيان وهو معنى واحد . والنقاش فى هذا الموضـوع نقاش لغـوى والاختلاف لفظى .

(نقلا عن كتابه : الاباضية فى موكب التاريخ ـ الحلقة الاولى ، ص ٨٩ ـ ٩٢) .

* * *

● **عرض وتحليل الأصل التاسع (لا منزلة بين المنزلتين) :**

ان النصوص الكلامية التى قرأناها ، تعالج قضـية الكفر والايمان (٦) التى أثيرت فى الفكر الاسلامى قديما وحديثا . هل المسلم اذا ارتكب كبيرة من الكبائر يفقد صفة الايمـان ؟ وقبل أن نجيب عن هذا السؤال فلابد أن نوضح آراء المدارس الكلامية فى ذلك .

قالت المعتزلة : من أقر بوحدانية الله وبرسـالة محمد ، ولكنه ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر ، أو جمـــع بينهما فهو فاسق عاص ، ليس بمؤمن ولا مشرك ولا كافر . وهذا الأصل يسمى عندهم : المنزلة بين المنزلتين .

---

(٦) راجع فهرس الفرق الكلامية والمصطلحات الكلامية .

أما الأشعرية فقالت : من أثبت وحدانية الله ورسالة الرسول ﷺ ولكنه ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر . يعد مسلما عاصيا ، ليس بمشرك ولا كافر ولا فاسق ان شاء الرحمن أدخله النار ، وان شاء رحمه .

وأما المرجئة فقالت : ان الفرائض الدينية شيء ، وان الايمان شيء آخر . فالايمان هو التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان بوحدانية الله ، ورسالة محمد ففى هذه الحالة ، فهو مؤمن مسلم ليس بمشرك ولا كافر ولا فاسق .

أما الشيعة والزيدية فقالتا : من أقر بوحداينة الله ورسالة محمد ، وضيع الفرائض الدينية ، هو كافر كفر نعمة ، منافق فاسق ليس بمؤمن ولا بمسلم ولا بمشرك .

أما فرق الخوارج : الصفرية ، والأزارقة والنجدية ـ فقالت : من أثبت وحدانية الله ، ورسالة الرسول ولكنه ضيع العمل بالفرائض فهو مشرك ، كافر فاسق عاص .

أما الاباضية فلها رأى خاص فى هذه القضية . فقد بينت النصوص ، أن من أقر بوحدانية الله ورسالة الرسول ﷺ ، ولكنه ضيع الفرائض الدينية ، أو ارتكب كبائر فتسميه موحدا ، وليس بمؤمن ولا بمشرك ، ثم يرون أن مرتكب الكبيرة يعد كافر كفر نعمة وليس كافر كفر شرك . اعتمادا على قول

الله عز وجل : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** » (المائدة : ٤٤) .

وقوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** » الآية ، (آل عمران : ٩٧) والرسول ﷺ يقول : « ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة » ـ فالكفر اذن عند الاباضية ينقسم الى ما يلى :

(أ) كفر نعمة ونفاق فيتمثل فى المسلم الذى ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر وأجمع بينهما .

(ب) كفر شرك وجحود : ويتمثل فى الانسان الذى يجحد بالله وآياته ورسالة محمد ﷺ ففى هذه الحالة يعد خارجا من ملة لاسلام .

فرأى الاباضية واضح جدا فى شأن عصاة المسلمين ، فهى تعدهم فى الملة الاسلامية ، وتجرى عليهم أحكام المسلمين ، ويحرم أن تستحل دماؤهم وأموالهم لقول رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » . فهم لا يختلفون عن اخوانهم الاباضية فى العقيدة الاسلامية وجوانبها الاجتماعية ، فلذا تنكح نساؤهم ، وتؤكل ذبائحهم ، ويحج معهم ويصلى معهم ، وعلى أمواتهم ... الخ .

فهذه العقيدة جعلت حدا فاصلا بين الاباضية ، وفـــرق الخوارج حين حكمت على عصاة المسلمين بالشرك ، اعتمادا على هذه الآية الكريمة : « **وان الشياطين ليوحون الى أونيائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهـم انكـم لمشركون** » ... الآيـــة (الأنعام : ١٢١) .

فالخلاف بين الاباضية والمدارس الكلامية الأخرى حـول تسمية عصاة المسلمين وأهل الكبائر منهم يكاد أن ينحصر فى الجانب اللغوى فقط أما دلالة المعنى فواحدة عند الفـــرق الاسلامية ما عدا المرجئة .

* * *